أحلى من زهرة غـــاردينيـــا
في عـــتـــمـــة شَـــعْـــر إســـبـــاني
يـا حـــبـــبي الأوحـــد .. لا تبكي
فـــدمـــوعك تحـــفـــر وجـــداني
إنـي لا أمـلـك فـي الـدنـيـــا
إلا عـــيـنـيـك .. وأحـــزاني

* * *

أأقـــول أحـــبـك .. يـا قـــمـــري
آهٍ لـو كـــان بـإمـكـانـي
فـــأنا إنســـان مـــفـــقـــود
لا أعـــرف فـي الأرض مـكـانـي
ضـــيّـــعني دربـي .. ضـــيـــعني
اســـمـي .. ضـــيـــعني عنـواني
تـاريـخـي ؟ مـــا لـي تـاريـخ
إني نســـيـــانُ النســـيـــان
إني مـــرســـاةٌ لا ترســـو
جـــرح بـمـلامـح إنســـانٍ
مـــاذا أعطيك ؟ أجـــيـــبـــيني ؟
قلقي ؟ أنوائي ؟ غـــثـــيـــاني ؟
مـــاذا أعـطيك ســـوى قـــدرٍ
يـرقـص فـي كـف الـشـــيـطـانِ
أنا ألف أحـــبك .. فـــابتـــعـــدي
عـنّـي .. عـن نـاري ودخـــانـي
فـــأنا لا أمـلـك فـي الـدنـيـــا
إلا عـــيـنـيـك .. وأحـــزاني
أحـلى مـن عـــودة نيـســـانِ

قصة مترجمة

الأقوى

(أوغست ستراينديبرغ)

ترجمة محمود احمد البنا

أوغست ستراينديبرغ (١٩١٢ - ١٨٤٩) أحد أهم المسرحيين السويديين الذين أسسوا المسرح الحديث في السويد. وأهم ما تميز به هذا الكاتب المسرحي هو تجاربه المتواصلة والمستمرة في الأشكال المسرحية التي تراوحت بين التطرف في المسرح الطبيعي كما هو الحال في مسرحيته «الأب» إلى التوغل في السيريالية كما في مسرحية «الشبح سوناتا» ... باحثاً عن شكل أو أسلوب يستطيع بوساطته أن يعبر عن موضوعه المفضل: العواطف المتفجرة والغريبة في مجاهل النفس. ومسرحيته «الأقوى»، على الرغم من كونها قصيرة جداً، فإنها تعتبر واحدة من أكثر تجاربه نجاحاً في التوصل إلى أسلوب يعبر به عن عمل العقل.

الشخوص: السيدة «س» ممثلة متزوجة

الآنسة «ص» ممثلة عزباء

المشهد: زاوية في مقهى للسيدات في «ستكهولم» في الثمانينات من القرن التاسع عشر. طاولتان صغيرتان. مقعد صغير يغطيه قماش أحمر اللون من النوع الفاخر. بضعة كراسٍ.

الآنسة «ص» جالسة إلى إحدى الطاولتين وأمامها زجاجة نصف فارغة من البيرة تقرأ في مجلة أسبوعية مصورة تستبدلها بأخرى من وقت إلى آخر.

السيدة «س» تدخل المقهى مرتدية قبعة ومعطفاً شتويين وتحمل في يدها سلة يابانية.

السيدة «س»: عزيزتي ميلي كيف حالك؟ تجلسين هنا وحيدة ليلة الميلاد مثل العزباء البائسة.

(ترفع الآنسة «ص» عينيها عن المجلة وتحيي السيدة «س» بإيماءة من رأسها وتعاود القراءة).

السيدة «س»: أتدرين .. إنه ليحزنني أن أراك وحيدة في هذا المقهى وخصوصاً في مثل هذا الوقت .. ليلة عيد الميلاد. حقاً إنه ليحزنني ذلك ... تماماً كما أحزنني مرة في باريس حفلة عرس حضرتها في مطعم. كانت العروس تقرأ صحيفة هزلية بينما كان العريس يلعب «البلياردو» مع شهود عقد قرانه.

وقلت في نفسي إذا كانت هذه هي البداية فكيف ستسير حياتهما الزوجية؟

وكيف ستنتهي؟ يلعب «البلياردو» في ليلة الزفاف! وهي ، كنت على وشك أن تقولين، كانت بدورها تقرأ صحيفة هزلية. لكن ذلك ليس نفس الشيء.

(في هذه اللحظة تحضر النادلة فنجاناً من الشكولاته إلى السيدة «س» وتنصرف).

السيدة «س»: هل تدرين يا إميليا أنني أعتقد حقاً أنه كان من الأفضل لك لو بقيت معه. لاتنسي أنني كنت الأولى التي أخبرتك أن تغفري له. هل تذكرين؟

لو أصغيت لي لكنت الآن زوجة ولك بيت. فكّري كم كنت سعيدة عندما قضيت عيد الميلاد الفائت في الريف مع أهل خطيبك. وكيف كنت تتحدثين بحرارة عن السعادة العائلية. وكم كنت تتوقين إلى ترك المسرح.

أجل يا عزيزتي إميليا إن البيت هو المكان الأفضل بعد المسرح، وبالنسبة للأطفال - لكنك لا تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع.

(التعبير المرسوم على وجه الآنسة «ص» ينم عن الإزدراء. السيدة «س» ترشف قليلاً من فنجان الشكولاته. ثم تفتح سلتها فتظهر بعض هدايا عيد الميلاد).

السيدة «س»: يجب أن أريك ما اشتريت لأطفالي. (تخرج دمية) إنظري إلى هذه. إنها لليزا. هل ترين كيف تستطيع أن تحرك عينيها وتدير رأسها، أليست جميلة؟

وهذا مسدس لعبة لماجا. (تعبئ المسدس وتطلقه باتجاه الآنسة «ص» التي تبدو خائفة).

السيدة «س»: هل خفت حقاً؟ هل ظننت أني سأطلق النار عليك؟ لا أظن أنك حقاً اعتقدت أنني سأفعل ذلك. ولكن لو أردت أنت الآن أن تطلقي النار عليّ فإن ذلك لن يكون مفاجئاً لي لأنني كنت حجر عثرة في طريقك. وأعلم أنك لن تغفري لي ذلك رغم أنني بريئة تماماً، فأنت مازلت تظنين أنني تآمرت على إخراجك من «المسرح العظيم» لكني لم أفعل. أنا لم أقم بهذا العمل مهما كان شكك بي كبيرا.

حسناً ... لا فائدة من الكلام لأنك مازلت تعتقدين أنني قمت به.

(تخرج خفين مطرزين) وهذان الخفان لزوجي وقد طرزت عليهما زهرة التيوليب بنفسي. وإذا أردت الحقيقة فإني أكره هذه الزهرة لكنها يجب أن تكون على كل شيء. (الآنسة «ص» ترفع رأسها وتنظر بوجه ممتلئ سخرية وحب فضول).

السيد «س»: (تضع يداً في كل خف) انظري كم هي صغيرة قدما بوب، أليس كذلك؟ يجب أن تشاهدي مشيته الساحرة. أنت لم ترينه بخفين من قبل أليس كذلك؟

(الآنسة «ص» تضحك).

السيدة «س»: انظري سأريك كيف يمشي. (تترك الخفين على الطاوله، بينما الآنسة «ص» مستغرقة بالضحك).

السيدة «س»: لكنه حين يغضب - انظري .. يضرب الارض بقدمه ويقول: «هؤلاء البنات الملعونات لا يتعلمن أبداً كيف يصنعن القهوة. تلك الغبية لم تحسن قصّ فتيل السراج». وعندما يسري تيار بارد من أسفل الباب وتبرد قدماه يقول :«أكاد أتجمد من البرد. هؤلاء الأغبياء لا يستطيعون حتى إدامه تشغيل المدفأة».

(تفرك السيدة «س» أسفل الخف بباطن الفردة الأخرى بما يجعل الآنسه «ص» تنفجر في الضحك).

السيدة «س»: عندما يعود إلى البيت يبدأ رحلة البحث عن خفيه اللذين قد وضعتهما ماري تحت الخزانه. حسناً .. ربما لا يحق لي أن أسخر من زوجي كما أفعل الآن. فهو على أي حال رجل لطيف وزوج طيب. كان عليك يا إميليا أن تحظي بزوج مثله. علام تضحكين؟ ما حكايتك؟ وكما ترين فإني أعلم أنه مخلص لي. أجل أعلم ذلك. لقد أخبرني بنفسه ذلك - لماذا تقهقهين؟ لقد قال

لي أنه عندما كنتُ في رحلة إلى النرويج إن تلك القبيحة فريدريكا حضرت إلى بيتنا وحاولت إغوا ه.هل يمكن أن تتصوري شيئاً أبشع من هذا التصرف؟ (توقف) لوكنت في البيت عند قدومها لفقأت عينيها. (توقف) وأنا مسرورة لأن بوب أخبرني بنفسه عن الأمر، ولم يكن ذلك مجرد إشاعة سمعت بها. (توقف) في حقيقة الأمر لم تكن فريدريكا الوحيدة. ولا أدري ما السبب الذي يجعل نساء الفرقة مجنونات بزوجي. لا بد أنهن يعتقدن أن مركزه في الفرقة يخوله إبداء الرأي فيمن يعمل بالمسرح. وربما أنت نفسك طاردته. فأنا لا أثق بك كثيراً. ولكني أعلم أنه لا يميل إليك، وإنك طالما أبديت تجاهه نوعاً من الضغينة - أو هكذا شعرت.

(توقف. تتبادلان النظرات الحذرة).

السيد «س»: تعالي واقضي ليلة الميلاد معنا هذه الليلة يا إمبليا حتى تظهري لنا أنك لست مستاءة منا أو على الأقل مني. لا أدري ما السبب فإنه يبدو لي أنني لن أكون مرتاحة إذا لم أكن صديقة لك. ربما لأنني كنت حقاً حجر عثرة في طريقك حينها. (يبطء) أو .. لاأدري حقيقة لا أدري مطلقاً لماذا.

(توقف. الآنسة «ص» تحملق بفضول بالسيدة «س»).

السيدة «س» (متأملة) إنه أمر غريب تعرفنا على بعض. أتدرين حين قابلتك أول مرة كنت خائفة منك إلى درجة أني لم أدعك تفارقين ناظري. فقد رتبت ذهابي ومجيئي لأكون على مقربة منك. خشيت أن أكون عدوتك فآثرت صداقتك. لكن عندما كنت تزوريننا كان يخامرني على الدوام شعور بعدم الراحة لأنني أحسست أنك لم تحظي بإعجاب زوجي كان ذلك يضايقني .. تماماً مثل الإحساس الذي ينتاب المرء عندما لا يناسبه ثوب. وعملت ما بوسعي لكي أجعله لطيفاً معك ولكن بلا طائل إلى أن خطبت وابتعدت. حينها أصبحتما صديقين حميمين. بدا الأمر في أوله وكأنك عندما اطمأننيت إلى خطوبتك جرأت على الإفصاح عن مشاعرك. حينذاك لم أكن غيورة وهذا أمر غريب. وأذكر عند الإحتفال بتسمية طفلنا - حين كنت عرابته - طلبت إلى زوجي أن يقبلك .. وحين فعل انزعجت .. في حقيقة الأمر لم ألاحظ ذلك حينها .. لم أفكر بذلك مطلقاً حتى الآن. (تنهض فجأة) لماذا لا تقولي شيئاً؟ لم تتفوهي بكلمة طيلة هذا الوقت، بل تركتني استرسل بالكلام. لقد جلست في مقعدك وعيناك تسحبان كل هذه الأفكار مني .. كانت عيناك بالنسبة لي مثل الحرير في الشرنقة. لماذا فسخت خطوبتك؟ لماذا لم تزوريننا بعد ذلك؟ لماذا لا تزوريننا الليلة؟

(تتحرك الآنسة «ص» وكأنها على وشك أن تقول شيئاً).

السيد «س» لا حاجة بك للكلام .. الآن أدركت كل شيء .. لهذا السبب .. ولهذا السبب .. الخطوط كلها بدأت تتوضح لترسم الصورة.

لن أشاركك الطاولة .(تنقل أشياءها إلى طاولة أخرى).

لهذا السبب يجب أن أطرز الخفين بالتيولب الذي أكره. (ترمي بالخفين على الأرض). ولهذا السبب يجب أن نقضي الصيف على ضفاف البحيرة لأنك تكرهين شاطيء البحر. ولهذا السبب كان على إبننا أن يدعى «إسكيل» لأنه إسم أبيك، ولهذا السبب كان يجب أن أرتدي ألوانك، وأقرأ كتبك، وأتناول الأطباق التي تفضلين، وأن أشرب مشروباتك، وعلى سبيل المثال الشوكلاته. ، ولهذا

غيابا شبه تام . إن اخطر معالجة للمسألة الامازيغية هي التي تنطلق من (غرائز إديولوجية مسبقة) . وهناك في واقع الامر عدة قراءات او معالجات بعضها خطير وبعضها معقول وهي :

التيار الأول :

عروبي ديمقراطي ، يرى أن الأمازيغ (البربر) هم عرب هاجروا من فلسطين الى إفريقيا الشمالية بعد هزيمة (جالوت الفلسطيني) . واللغة الامازيغية هي إحدى فروع اللغة الكنعانية . ويرى هذا التيار أن اللغة العربية هي الموحدة للأقطار المغاربية ، ويمكن تدريس الامازيغية بصفتها لغة ثقافية قديمة في الأقسام المتخصصة في الجامعات ، على أن تكتب بالحروف العربية أو تحتفظ بشكلها الأصلي بعيدا عن محاولات ربط الأمازيغية باللاتينية ، لأنها محاولات مفتعلة

التيار الثاني :

عروبي دكتاتوري ، يوجه تهمة (الخيانة العظمى) ، للعرب الأمازيغ وتهمة التبعية لفرنسا ، ويرفض هذا التيار خصوصية الثقافة الامازيغية ضمن مفهوم وحدة المغرب العربي الكبير.دون معالجة للمشكلة ، والغريب أن هذا التيار لا يعترف أصلا بوجود مشكلة . !!!

التيار الثالث :

تيار أمازيغي ديمقراطي يؤمن بالإسلام والعروبة كعنصرين هامين من عناصر الشخصية البربرية . لكنهم يقترحون هامشا من الحرية للتعبير عن هذه الخصوصية الامازيغية في إطار التعددية الثقافية ضمن وحدة المغرب العربي الكبير . ويؤمنون باللغة العربية كلغة موحدة ورسمية وقانونية .

التيار الرابع :

تيار أمازيغي غرائزي ، يؤمن بالنزعة الامازيغية التي تعني جعل الامازيغية لغة موازية للغة العربية الرسمية . وهم يقولون انهم أصحاب الأرض الأصليين وأن العرب كانوا (غزاة) وأن جذور اللغة الامازيغية مرتبطة باللغة اللاتينية . ويقود هذا التيار عملية كتابة اللغة الامازيغية بحروف لاتينية ، بتشجيع فرنسي واضح ومفهوم .

لقد سبقت جهود الدكتور علي فهمي خشيم جهود أخرى منها على سبيل المثال جهود المغربي محمد شفيق، مؤلف (المعجم العربي – الامازيغي ، الصادر عام ١٩٩٨) ومؤلف (أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية ، ١٩٩١) ويصفهما خشيم بأنهما أهم ما صدر بالعربية عن اللغة الامازيغية . لكن علي فهمي خشيم يبذل جهدا زائدا عن حده في دحض بعض أفكار محمد شفيق ، فيخصص فصلا كاملا لمناقشة مقدمة معجم شفيق . فمثلا يناقش معنى (أوال أمازيغ) مناقشة لغوية مقارنة بردها إلى المكافئ العربي (أول منه التأويل) ، حيث جاء في كتاب (وصف إفريقيا) للحسن بن الوزان (المعروف باسم ليون الإفريقي، توفي سنة ١٥٥٠م) أن لغة البربر في عهده ، كانت تدعى (أقوال أمازيغ) ، أما العرب فيسمونها البربرية . ويرى أن (قول الأمازيغ) أبدلت القاف فيها همزة فكانت (أقوال أمازيغ) . ثم يناقش المؤلف كلمة (أمازيغ) حيث يرى البعض أن جذرها (مزغ) بمعنى أغار وغزا ، ويمكن ملاحظة أن (يوزغ) عند التوارق هي مقلوب العربية (يغزو) ، كما يرى البعض . لكن خشيم يرى أن جذرها (مزغ) وهي تكافئ (مشك ، مسك) صوتيا . وفي النصوص اليمنية القديمة (مسك) في لقب (بعل مسكت) بمعنى : رسخ ، تمسك ، وفي العربية : المسك هو الجلد والقوة . وبهذا يمكن القول بأن (أمازيغ) تعادل (اماسيك) أي : الصبور المتماسك القوى الشجاع . ثم يأخذ المؤلف كلمة (تسرت) الامازيغية التي معناها مفتاح الباب ويجدها في العربية في مادة (سرر): أخفى الشيء ، كتمه ، أي أن الدلالة واحدة فجذره الأمازيغي (سر) الذي يسبق ويلحق بتاء التأنيث (تسرت) وصار(تاساروت) نطقا وفي عامية أهل المغرب (ساروت) . ولتأكيد تحليله يقارنها مع معنى كلمة مفتاح في اللغات الأخرى ففي اللغة الإنجليزية (Key) وفي اللاتينية (Clavis) وفي اليونانية (Klai) الذي أخذته من الكنعانية (كلأت = قبضة اليد المقفلة) و (كلي = أنهى ، ختم) و (كلت= التمام ، الكلية) . وينقل عن محمد شفيق معاني أسماء بعض المدن المغربية مثل (أغادير = الجرف ، الحائط / آسفي = المصب / تيط = العين / تيطاون = العيون / أزمور = الزيتون/ آزرو = الصخرة / إفران = المغاور / ايموزار = الشلالات / تاوريرت = الجبيل / مكناس = الشرس / اكلميم = البحيرة ، المستنقع / سايس = السهل / تاسامان = محاذية الماء / تافيلات = الجرة /تلمسان = جمع مفردة تالمست = عُيينة الماء / تازرفت = القلاة ، البيداء / تاكانت = الغابة) . وعندما كنت أعيش في مدينة تلمسان الجزائرية ، كنت أسأل الناس عن اصل التسمية

السبب .. ياإلهي .. إنه أمر فظيع أن أفكر بهذا الشكل! كل شيء .. كل شيء كان يأتي منك حتى عواطفك.فخربت بروحك روحي كما تنخر الدودة التفاحة حى لا تبقي منها ولاتذر. أردت أن أطير بعيداً عنك لكني لم أستطع فقد كنت لي بالمرصاد كالثعبان. سحرتني عيناك السوداوان. وعندما فردت جناحي لكي أطير جرتني عيناك. سقطت في الماء وقدماي مربوطتان وكلما عملت جاهدة لأفكّ وثاقي كلما غرقت أكثر حتى وصلت القاع فإذا بك هناك بانتظاري كانك سلطعون عملاق يتربص ليلقفني بمخالبه. وانا الآن هنا. كم أكرهك. أكرهك. أكرهك. استمري بالجلوس في مكانك صامته ... هادئة ... غير مبالية ... غير مهتمة بالأمر عندك سيان أكان القمر بدراً أم هلالاً ... الميلاد أم رأس السنة الجديدة ... الناس سعداء أم تعساء.

فأنت لا تعرفين كيف تكرهين أو تحبين. فقط إجلسي هناك بلا حراك كقطعة على باب جحر فأر، لا تستطيعين سحب فريستك ولا تستطعين مطاردتها. أنت لا تحسنين سوى الانتظار. وفي زاويتك هنا - أتدرين أن الناس يدعونها «قصيدة الفئران» بسببك - تجلسين تقرأين الصحف لتعلمي إذا ما أحد من الفرقة قد طرد أو أصابه مكروه. تجلسين هنا تعانقين ضحاياك وتزنين فرصك كربان السفينة يتفقد أضرارها.

(توقف) مسكينة إميليا. هل تعلمين كم أرثي لحالك ! أعلم أنك تعيسة وبائسة كمخلوق جريح ... ولأنك مجروحة فأنت شريرة. لا أستطيع أن أزعل منك على الرغم من أنه يجب أن أكون كذلك. ولكن أنت في النهاية الأصغر .. وبالنسبة إلى علاقتك ببوب فإن ذلك لا يقلقني بالمرة. ولماذا يهمني الأمر؟ وإذا كنت قد تعلمت منك كيف أرتدي ملابسي .. ما أهمية ذلك؟ لا سيما وقد شددت من قبضتي حول زوجي. فإنا ربحت ماقد خسرت. أجل ... لنحكم من مؤشرات مختلفة فأنت قد خسرته الآن. بالطبع لقد أردتني أن أخرج من حياته كما فعلت أنت مرة، وها أنت الآن تندمين. لكني لن أفعل ذلك كوني مطمئنة .. يجب ألا يكون الواحد مناضيق الأفق. ولماذا تتطلع أية إنسانة إلى ما أملك ؟(توقف) ياعزيزتي، من المحتمل - إذا أخذنا كل شيء بعين الإعتبار - أن أكون الأقوى في هذه اللحظة. لم تأخذي مني شيئاً بل أعطيت ومن تلقاء نفسك. والآن مثلك مثل لص الليل عندما تستيقظين ستجدين بأني أحوز ما خسرت. فلماذا إذن صار كل ما لمست عقيماً وبلاقيمة؟ لم تستطيعي أن تتعلمي من كتبك من الحياة لكني تعلمت. أنت لم تلدي «إسكيل» على الرغم من أنه يحمل أسم أبيك.(توقف) لماذا أنت صامته في كل مكان وزمان؟ أجل .. كنت أعتقد أن صمتك سرقوتك .. ولكن ربما لم يكن عندك شيء لتقوليه .. وأنك لم تستطيعي أن تفكري بأي شيء .(تنهض وتلتقط الخفين) الآن أنا ذاهبة إلى البيت آخذة معي زهرات التيوليب - زهراتك. لم تستطيعي أن تتعلمي من الآخرين .. لم تستطيعي أن تنحني .. لهذا فقط انكسرت عصاك الجافة. أما عصاي فلم تنكسر. شكراً لك يا إميليا على دروسك المفيدة. شكراً لك على تعليمك لزوجي كيف يحب. والآن أنا ذاهبة إلى البيت لأحبه. (تنصرف).

التحديات العلمية التي يجابهها العرب ونحن على مشارف قرن جديد

الأستاذ الدكتور همام غصيب

استاذ الفيزياء النظرية ، رئيس تحرير المجلة الثقافية/الجامعة الأردنية ،عضو مجمع اللغة العربية الأردني

(بمناسبة الملتقى الأول للفائزين بجائزة عبد الحميد شومان للباحثين الشبان)

أيها الحفل الكريم:

يطيب لي في البداية أن أزجي تهنئة من صميم القلب للباحثين العرب الشبان ، المحتفى بهم اليوم ، على فوزهم بهذه الجائزة الرفيعة . فمبارك فوزهم ؛ ومبارك إنجازهم !... آملاً أن يكون هذا مجرد فاتحة لسير عملية متألقة متلألئة .

ولا بد في هذا المقام من تسجيل الفضل لأهل الفضل ؛ أعني مؤسسة عبد الحميد شومان الزاهرة ، لما تتحلى به من سعة أفق ووضوح رؤيا . ولا أريد هنا أن أتغنى بالمؤسسة أو أصدح بمناقبها ؛ إنما هي كلمة حق أقولها بالصوت العالي . فالعلم في كلّ زمان ومكان بحاجة إلى الرعاية والتشجيع ؛ ومؤسسة شومان رائدة في هذا المضمار . ولعل إقامة حفل اليوم في رحاب جامعتنا الأم لها دلالتها العميقة .

(1)

وحفلنا البهيج هذا إنما هو إقرار بأهمية البحث العلمي ، التي تتزايد يوماً عن يوم . فكما كتب المرحوم محمد عبد السلام (أحد أساطين العلم في العقود الأربعة الأخيرة ، الذي توفي قبل سنة واحدة إلا قليل، والذي كان أحد علماء ثلاثة نالوا جائزة نوبل في(الفيزياء عام ١٩٧٩).

"يصحو العالم الثالث اليوم بطيئاً على حصيلة التحليل القائلة بان ابتداع علم العصر الحديث وتكنولوجيته ، والتمكن منهما واستغلالهما ، هو الذي يميز الشمال عن الجنوب . فعلى العلم والتكنولوجيا ترتكز معايير حياة الأمة. والفجوة المتسعة في اقتصاديات أمم الجنوب ونفوذها عن تلك التي في الشمال هي مبدئياً فجوة علمية وتكنولوجية . فلا تغاير أنظمة الاقتصاد أو الحكم ، ولا القيم الثقافية المختلفة ... قادرة دون تلك الفجوة على تفسير ما يجعل الشمال (دون الجنوب) قادراً على سيادة كوكبنا الأرضي وما وراءه."...

فالبحث العلمي، إذا ، لم يعد ترفاً ؛ وإنما هو ضرورة من ضروريات الحياة العزيزة الكريمة . ولا بد من مواكبة أخر تطوراته وطرائقه وثماره حتى لا نفقد ماءنا وهواءنا وغذاءنا وأمننا. وهو مكلف إلى ابعد الحدود ؛ فيلتهم المال والوقت والعرق وهدوء البال . لكن من قال أننا نستطيع أن نعانق الحياة الحرة الآمنة دون ذلك ؟

(2)

... أقول : حتى لا نفقد ماءنا وهواءنا وغذاءنا وأمننا. فلعل توفير الأمن القومي والأمن المائي والأمن البيئي والأمن الغذائي والأمن الطاقي ، إلى آخر السلسلة ... لعل ذلك من التحديات الكبرى التي يجابهها العرب

فيقولون : ان اصلها ، (تلُ ماء سال) وهو معنى ليس ببعيد عن المعنى الامازيغي (العيون). أما كلمة (باتوس) فهي كنعانية وهي في المصرية القديمة (بت) بمعنى ملك ، أما في الامازيغية فكلمة (تانباط) فهي تعني السلطة ، ومعنى ذلك أن حضارة الأنباط وهي عربية كنعانية تعني (حضارة الملوك). ثم ينقل الدكتور خشيم عن محمد شفيق (إحدى وخمسين لفظة مشتركة بين العربية والأمازيعية)،

لكن خشيم يناقشها كلمة كلمة ويصحح اشتقاقاتها فمثلا كلمة (أفرو = طار) يقابلها في العربية (فر) وكلمة (أختار) الامازيغية هي من التركية (إهتيار) وفي الدارجة الشامية (ختيار) وكلمة (أمغار) الامازيغية قالغين فيها مبدلة من القاف (أمقار) بمعنى : المرأة العجوز ، أما (أمقار) فهي من (إقر) الكنعانية وعربيتها (وقر) ومنها (الموقر) تطلق على الرجل العجوز احتراما . ... الخ . ولكن لا أعرف لماذا لم يتأمل الدكتور خشيم لدى تحليله اللغوي لكلمة (امازيغ = مازيغ = مزغ) ، كلمات (زاغ، يزوغ ، زوغانا ، مزواغ) العربية والتي نقولها في اللهجة الفلسطينية (فلان مزوغ) أي غائب وهي تأتي بمعنى (المراوغة في الحرب والاختفاء الذكي عن الأنظار)!!!

ثم يحلل المؤلف كلمة (أجرومية) الامازيغية ، حيث اشتهرت منذ أبو عبدالله محمد بن داود الصنهاجي الفارسي صاحب كتاب الاجرومية بمعنى (قواعد النحو) وجذرها في العربية والبربرية (جرم) بمعنى (نزع ، سلب ، جرد)، وهي (ذو أجروم) بمعنى صاحب القواعد ويربط بين (الأجرومية) وكلمة grammar الإنجليزية ومشتقاتها في اللغات الغربية. ويتعرض لاختلاف اللهجات الأمازيغية (الريفية والأطلسية والسوسية والتارقية والشاوية والجبلية والزوارية والنفوسية والسيوية والأوجلية) وغيرها وهو يرى أن اختلاف اللهجات أمر طبيعي . ويناقش قواعد النحو الامازيغي ليثبت تقاربه وصلته بقواعد النحو العربي . ثم يورد فصلا هاما بعنوان (كتاب الحجر). حيث تعرض لمصطلحات (يونيا - يونه - يونيقيا) ويرى أن الأوروبيين أرادوا تميز التاريخ الكنعاني في الشمال الإفريقي عن (الوطن الأم) في ارض كنعان (فلسطين وسوريا ولبنان والأردن) ، لكنه يرى ان الأصل فيها هو (بنو كنعان - بنوكع)، ثم سقطت العين وحذفت النون المكررة فكانت (بنوك)، مع إبدال الباء المفردة باءً مهموسة (P) والكاف خاءً (بنخ) ، وهذه الخاء هي التي صارت تنطق في اللغات الأوروبية (X) وحولت في العربية إلى قاف (فنق) ومنها الترجمة الخاطئة (فينيقيا) ولا صحة لما يروى أن تسمية فنيقيا تعني اللون الاحمر الارجواني او النخلة في اليونانية . فالنقوش (اليونيقية) مكتوبة بلهجة قرطاجة الكنعانية العربية . ثم يبدأ المؤلف بمناقشة لغوية موسعة لتلك النقوش، وهي خمسة عشر نقشاً .

ثم ينتقل لمناقشة بعض أسماء الأعلام ، ويحلل اسم (شيشنق) الذي ورد في التوراة (شيشق) فيربطه باسم مدينة (سوسة) أي (شوشا =شش) التي عرفت في المصادر اللاتينيه باسم (حضرموت) محرفة عن الكنعانية (حضر/ماتو)، حتى يصل إلى معنى (الحاكم) =شش= ششق . كما يتعرض لبعض أسماء الأماكن (أدرار= الجبل) - (أنيل = ا لنيل= الأزرق الداكن) -(سلا= الصخر) -(السنغال = جنوب النهر) -(تازة = جاءت من لفظة تيزي= الصخرة) وفي العربية (مادة تيز معنى الغلظة والشدة) -(تيندوف = مركز الحراسة = بمعنى معادل كلمة الضيف العربية)-(فاس = النهر= مقلوب ساف). كذلك نجد الضمير (أنا) وهو في الكنعانية (انك) ، كذلك في التارقية الامازيغية (نك) وفي الشلحية (السوسية) الأمازيغية (نش) . كما نجد كلمة (أيو - الايوان ، القصر = إغرم وجذرها غرم) ، فالغين المعجمة مبدلة من الكاف فهي (كرم) وهي تقابل (كرم) العربية ، كما نجد المقطع كرم في اسم شهير في فلسطين (كرمل) تعني (بستان معشوشب وفيه شجر) مع إضافة (إيل = الله) وبالتالي فهي اقرب الى معنى (كرم الله وليس (حصن الله) . ولا اعتقد ان (حي الكرم) في تونس - وقد عشت فيه عام ١٩٨٣م - يعني الحصن وانما يعني (كرم العنب والتين والزيتون) وغيرهما . لكن الدكتور خشيم يضيف ان كلمة (كرملين) القصر الروسي في موسكو ، وقد جاءت من تحريف كلمة (كرمل = كرم ايل) -Kremel .ويرى ان كلمة بَرّ الأمازيغية (أفارو) تعادل كلمة (غور = هور = خور = منخفض البحر الميت). لكنه يرى ان كلمة (البرتغال = اسم البلد المعروف في شبه جزيرة ايبريا) جاءت من كلمة برتقال العربية ، وبتقديري إن الدكتور خشيم تناسى الرأي الآخر وهو (بورت - كالية). ويرى ان كلمة (أيت) التي تكثر في بعض الأسماء (حسين أيت أحمد مثلاً) وهي تعني (بني) عند محمد شفيق ، لكن خشيم يرى إنها معادلة للكلمة (عيت) وهي تساوي (عيلت = عائلة) وهي أي (أيت) تعادل (آل فلان) بالعربية .

سكن القرطاجيون (تونس) والموريون (المغرب وموريتانيا) والنوميديون (الجزائر) والليبيون (ليبيا) ، وارتبطوا باسم (إفريقيا) ، فالبعض يرى إنها كلمة كنعانية

ونحن على مشارف قرن جديد ، بل ألفية ميلادية جديدة . والمشكلات القابعة هنا لا تني تتفاقم منذ عدة عقود ؛ فالقرن الجديد إن هو إلا امتداد للحاضر والماضي القريب ، وكذا الحال مع الألفية الثالثة. فهذه حواجز زمنية مصطنعة تكون جزءاً من طقوسنا ؛ لكن سهم الزمن الكاسح لا يعترف بها . وغني عن البيان إن التحديات المعنية ليست علمية حسب ، وإنما هي سياسية ثقافية اجتماعية اقتصادية أيضا . فيجب أن ينتظم الجانب العلمي منها في سياقه الصحيح ، جنباً إلى جنب مع الجوانب الأخرى .

لا أريد هنا أن اعتدي على حقول أهل الاختصاص ؛ لكن حديث الأرقام صارخ مرعب. فنحن ننتج أقل من نصف غذائنا ، والباقي نستورده بالعملات الصعبة ؛ واستثماراتنا في الزراعة تتناقص ؛ ومواردنا المائية تزداد شحاً ؛ والتصحر يتغول علينا ... حتى مصادر الطاقة التقليدية عندنا في طريقها إلى النضوب .

فما العمل ؟

الحكمة تقتضي أن ننمي البحث العلمي المتقدم في عالمنا العربي .

كيف ؟...

(3)

لا توجد -طبعاً- وصفة سحرية لذلك في أي زمان أو مكان ؛ فلا مصباح علاء الدين ولا خاتم سليمان ! وفي نهاية المطاف ، إنما يعتمد النجاح في هذا المجال على الإدارة الماهرة للمال والإنسان والوقت ، وعلى تنمية الباحث الكفء وفريق البحث المتكامل ؛ إضافة إلى تأسيس المختبرات الدينامية المتطورة ، وفتح النوافذ والأبواب على التيارات العالمية . وكل ذلك بحاجة إلى نفس طويل ومناخ مؤات وأصحاب قرار بعيدي النظر ونافذي البصر والبصيرة . دعوني افصل :

١- تكوين فرق البحث المتكاملة : لا يخفى أن المشكلات العلمية الكبرى -كالتي- ذكرت أضحت من التعقيد والتشابك والتداخل بحيث لا يمكن التصدي لها إلا على صورة فريق يجمع بين جنباته مهارات متعددة متكاملة متناغمة ، وليس على صورة أفراد متشرذمين متناثرين متصارعين . وتكوين مثل هذا الفريق ليس بالأمر الهين ؛ بل يحتاج إلى تخطيط واع دقيق على مدى سنوات يأخذ بالاعتبار أولويات البحث العلمي ، ويهدف إلى إنشاء المختبرات اللازمة وتنمية "الكوادر" المتوسطة من فنيين ومهندسي صيانة ومساعدي بحث .

وثمة تخوف يشار دائما من النزعة الفردية المزعومة المتأصلة في النفس العربية التي تحول دون الانتظام في فريق منسجم متناغم . لكن هذا التخوف يتهاوى إزاء الأدلة العلمية الدامغة التي تشير إلى أن المناخ الفكري والتربوي العام هو الذي يجبلنا في النهاية . فالمسألة مسألة تخطيط هادف كما أسلفت ، تتضافر فيه الإدارة الحكيمة مع التشريعات الواعية .

وحتى يشب الفريق المنشود عن الطوق ، فيصبح مدرسة بحثية لها تقاليدها الراسخة وأسلوبها المميز ، لا بد من دعمة بسخاء مادياً ومعنوياً . ويجب أن لا يتأثر التمويل بأي عوامل عرضيه طارئة أو يتذبذب بتذبذب الأحوال والأهواء.

٢- التعاون العربي والدولي : بعد تكوين فرق البحث الوطنية ، لا بد من توسيع دائرة التفاعل العلمي عربيا ودوليا. فمن نافلة القول إن العلم في أي مكان يذوي ويضمحل بالعزلة والانعزال ، وان ثمة حاجة متزايدة لأي جماعة (أو "عشيرة") علميه أن تتواصل وتتبادل الأفكار والخبرات مع نظيراتها هنا وهناك كي لا تقع في حبائل الأوهام وخداع النفس والتقوقع والتحجر . السؤال الجوهري ، إذا ، هو: ما السبل والوسائل والآليات لتوطيد عرى التعاون العربي والدولي في مجالات العلوم والتكنولوجيا ؟ والجواب يكمن في: (أولا) إنشاء مكتبات علميه مركزيه من الطراز الأول تستند إلى الثورة الإلكترونية والفوتونية . (ثانيا) تعميم الحواسيب وثمار ثورة الاتصالات: وهذا أمر أمسي ملحا في "عالمنا/قريتنا الكبيرة" ، حيث تهيمن على الأقمار والمصائر الإلكترونيات والفوتونيات ، وحيث الانفجار المعلوماتي وبنوك المعلومات ، وعصر ما بعد الثورة الصناعية ، وصدمات المستقبل المتلاحقة. (ثالثا) المشاركة في برامج المنظمات والمراكز العلمية الدولية: ولا اقصد المشاركة العابرة في المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية فحسب ، وإنما أيضا المشاركة الفاعلة ضمن خطة طويلة الأمد عن طريق فرق بحث متكاملة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمراكز والمنظمات العلمية الدولية المتخصصة في الفيزياء والتكنولوجيا الحيوية وسواها .

إن "تدويل" علمنا المحلي يمثل تحديا لا مندوحة عنه إذا أردنا تنمية البحث العلمي المتقدم في بلادنا . والمنحى المقترح هنا لتحقيق هذه الغاية قد يكون الأقصر والأقل

كلفة . وسيرغمنا بالضرورة على :

تحديد أولويات البحث والتطوير، وتكوين فرق البحث اللازمة التي تتجاوز "الكتلة الحرجة" ؛

-تطوير الإطار التشريعي للبحث العلمي وتحديثه دوريا

شحذ العزيمة القومية لتخصيص ثلاثة بالمائة على الأقل من ناتجنا الإجمالي لأغراض البحث والتطوير .

(4)

السؤال يطرح نفسه: ما الدور الذي يجب أن يضطلع به في هذا الصدد نظام التربية والتعليم من ألفه إلى يائه ؟ فالمدارس والمعاهد والكليات والجامعات مصانع المستقبل . ... إن التحدي الحقيقي : أن نعلم الإنسان العربي كي يتعلم ويثابر على التعلم من المهد إلى اللحد ؛ وكيف يتجاوب سريعاً مع إيقاع العصر الذي يتسارع دوماً ؛ وكيف يستغل الانفجار المعلوماتي ويفيد منه ، لان الوصول إلى المعلومة اصبح مشاعا ، لكن المهم : ماذا نفعل بهذه المعلومة؟

أن ما يؤلم حقا أن قصورنا (inertia) ، بالمعنى الفزياتي، كبير في معظم الأحيان. وحسبي أن أشير هنا - على سبيل المثال الحصر - إلى بطء جامعاتنا في إدخال التخصصات المتداخلة المعارف - فالعالم المتقدم ما فتئ يركز منذ سنين على التخصصات المتعدّدة المعارف (multidis ciplinary) المتداخلة المعارف (intr-dis ciplinary) وحتى عابرة المعارف (transdis ciplinary) ولاغرو! فنحن في عصر التداوب أو التضافو أو التآزر (Synergy) بين المعارف المختلفة، والسطوة البينية أو الحدود المشتركة (inter faces) بين العلوم المختلفة في تزايد مستمر. أضف إلى ذلك أنّ القطاعات الصناعية لا تعترف بالحدود الضيقة التي تتمترس خلفها التخصصات الضيقة. وهذا طبيعي في عصر التكنولوجيا الحيوية والاستنساخ وعلوم المواد والمعلوماتية والاتصالات الرابوطيات (robotics) والسيبرنطيقا (Cybernetics) والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الضوئية (أو الفوتونيات Photonics) وما إلى ذلك....

(5)

أيها الحفل الكريم :

يحق لنا أن نتساءل بعد كل هذا وذاك : ما العلم ؟ بإيجاز هو منظومة منسقة وموحدة لسبر غور الطبيعة ، اعتمادا على طرائق تجريبية وعلاقات موضوعية تكشف تدريجيا وتؤكد بمنهجيات بحث محددة . أما التكنولوجيا فهي -بإيجاز أيضا التطبيق العلمي في وسط اجتماعي ثقافي معين لاكتشافات العلم "البحت" . ومع أن المفهومين متباينان نظريا، إلا إنهما مترابطان في الواقع ترابطا جدليا قويا ؛ فالعلم يولد تكنولوجيات جديدة تساهم بدورها في تطور العلم . إن تطور العلم والتكنولوجيا معا خاضع دون أدنى ريب ، إذا، لتأثير الوسط الاجتماعي الثقافي الذي أنجبه . ومعنى ذلك أن ظاهرة (أو عملية) العلم والتكنولوجيا ليست "محايدة" ؛ فهي تعكس بعض الخيارات التي تكون بمجملها "أيديولوجية" متكاملة . وهذا يقودنا مباشرة إلى التحدي الأكبر : هويتنا في مواجهة الطوفان العلمي والتكنولوجي الحديث .

فواضح أن التقدم العلمي ستهضمه الأمة فقط إذا انسجم مع أصالتنا . لكن لا يمكن رفض كلّ صورة للتقدم جملة وتفصيلا ، لأن "الحداثة" ليست "غربية" فقط ، بل هي عالمية ولا يمكن أن نظل بمعزل عن التقدم العالمي الذي يغذ الخطى دون كلل أو ملل . المحذور هنا أن استيراد التكنولوجيات الأجنبية دون تميز قد يكون له العواقب الوخيمة نفسها لرفضها

إنّ التجارب التحديثية تجري عندنا بشكل عشوائي . وهي جميعا متأثرة -بدرجات متفاوتة-بالنموذج الغربي ؛ فلا تنهض فيها القيم التقليدية إلا بدور هامشي . هنا يكمن التحدي الثقافي . فليس المطلوب -طبعا- رفض الحداثة ، وإنما العثور على حلول أصيلة ومبدعة ، خصوصا أن البلدان الصناعية لا تشجع عموما التقدم العلمي في العالم الثالث ألا إذا كانت الخيارات متطابقة مع تصورها النظري الخاص ومصالحها الاقتصادية . المطلوب -بعبارة أكثر تحديدا- انتهاج سياسة جديدة في المجال الثقافي التربوي تساهم في تغيير علاقة القوى الراهنة ، التي تحافظ على تبعيتنا للتكنولوجيا الخارجية بل تزيد منها ،